شعرية العنوان في دواوين كريم معتوق

رنا جمال إسماعيل كتكت، طالبة ماجستير: جامعة الإسراء، الأردن
r.ismail1_rds@gemsedu.com
أ.د فؤاد فياض شتيات، جامعة الإسراء، **الأردن**
fuad.shtiat@iu.edu.jo

الملخص

يكشف البحث عناوين قصائد دواوين الشاعر الإماراتي كريم معتوق من حيث علاقتها بالنص، ودلالاتها وأثرها في تشكيله جمالياً ودلالياً وسيميائياً، بوصفه العتبة التي يلج منها القارئ إلى القصيدة، وبوصلة التعرف إلى النص وإضاءة الجوانب الشعرية فيه، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى بغيته، وتوصل إلى أنّ عتبة العنوان في دواوين الشاعر كانت دالة وفاعلة، وأضاءت جوانب من شعرية النص أمام القارئ في العديد منها، وأضافت للنص بعداً جمالياً أثر في شعريته إلى جانب بعدها السيميائي.

الكلمات المفتاحية: معتوق، شعرية، العنوان، شعر إماراتي، شعر حديث .

Abstract

The research deals with the titles of the poems of the Emirati poet Karim Maatouk in terms of their relationship to the text, and their implications and impact on shaping the text aesthetically, semantically, and semiotically, as the threshold through which the reader enters the text, and the compass for identifying the text and illuminating the poetic aspects in it. The researcher used the analytical descriptive approach to reach his goal. And he concluded that the threshold of the title in the poet's collections was indicative and active, and illuminated aspects of the poetic text in front of the reader in many of them, and added to the text an aesthetic dimension in addition to its semiotic dimension.

Keywords: Maatouk, poetic, title threshold, Emirati poetry, modern poetry.

مقدمة :

يسير البحث منغمساً في جدلية العنوان والعتبات النصية وشعريتهما، وإمكانية قراءتهما في دواوين الشاعر الإماراتي عبد الكريم معتوق وقصائده، ويحاول الإلمام بشعرية العناوين والعتبات النصية التي استخدمها الشاعر في دواوينه ومناقشتها، والبحث في عناوين قصائده داخل تلك الدواوين وفي شعريتها.

وينتبه البحث إلى شعرية العنوان في أعمال شاعر إماراتي حديث لما للشعر الإماراتي الحديث من أهمية في رفد الموكب الشعري العربي بمذاق أدبي خاص متميز يمتلئ بعبق شعري إماراتي، ويعبّر عن طبيعة ذلك الشعر وأثره في الفضاء العام للشعر العربي الحديث. ويجيب البحث عن سؤاله الآتي : كيف أثر العنوان باعتباره عتبة نصية في شعرية النص؟ وهل كان العنوان نفسه يحمل نفسا شعريا خاصا به ؟ وكيف عبر العنوان عن البصمة الخاصة بالشعر الإماراتي الحديث؟

ويتذرع بالمنهج الوصفي التحليلي أداة للوصول إلى بغيته، مستفيداً من بعض الدراسات السابقة في مجاله البحثي، دراسة حسام محمد عقل، التماسك النصي في شعر كريم معتوق، دراسة تركيبية أسلوبية جمالية، 2007م، وتهدف إلى دراسة انسجام النص واتساقه، ولا علاقة مباشرة لها بالبحث الحالي.ودراسة يبات علي فائد، 2021م، اللامنتمي في قصيدة لامنتمي، وهي جزء من مدونة موسومة بـ"نُقُل القول" وهي دراسة نقدية عامة تهدف إلى دراسة مجموعة من النصوص الشعرية،نص واحد منها من نصوص كريم معتوق، ولا علاقة مباشرة لها بالبحث الحالي.

وليحقق بغيته يقسّم بحثه إلى قسمين، الأول: يناقش فيه معنى لفظ العنوان والعتبة النصية ومصطلحه ومفهومه، والآخر ويقسمه إلى قسمين : يناقش فيه شعرية العنوان الخاص بدواوين كريم معتوق،والآخر يناقش شعرية العنوان الخاص بالقصائد ويحاول الاستفادة من تحليل نماذج من النص الشعري لدى معتوق لإثبات شعرية العنوان .

جدلية العنوان والنص.

أشارت معاجم اللغة إلى معنى لفظة عنوان، قال اللحياني : عننت الكتاب تعنينا إذا عنونته، ... سمي عنوانا لأنّه يعنّ الكتاب من ناحيته[1] وهو ديباجة الكتاب [2] ويشير إلى التعريض بالشيء دون التصريح ومنه " قد جعل كذا وكذا عنوانا لحاجته، قال الشاعر:

وتعرف في عنوانها بعض لحنها وفي جوفها صماء تحكي الدواهيا

قال ابن بري : وكلما استدللت بشيء يظهرك على غيره فعنوان له، كما قال حسان يرثي عثمان رضي الله عنهما:

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطّع الليل تسبيحا وقرآنا "[3]

---

[1] . ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ج13، مادة عنن

[2] . التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم،بيروت، مكتبة لنان، ط1، 1996م، ج2، ص1241

[3] . الزبيدي، محمد مرنضى. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، الكويت، ط2001،1م، ج35، ص420، مادة عنن

والعنوان: " أن يأخذ المتكلم في غرض فيأتي لقصد تكميله وتأكيده بأمثلة في ألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة وقصص سالفة... وعنوان الموضوع عند المنطقيين هو مفهوم الموضوع "[4] وهو "اسم يدل على العمل الأدبي الذي يكتبه الكاتب، ويشترط أن يكون الاسم معبرا عن المضمون جاذبا للانتباه"" [5] وهو" مجموع العلاقات اللسانية من كلمات وجمل وحتى نصوص، قد تظهر على رأس النص لتدل عليه عينه، تشير لمحتواه الكلي ولتجذب جمهوره المستهدف" ([6]) وهو" نظام سيميائي ذو أبعاد دلالية ورمزية وأيقونية ... وهو كالنص أفق قد يصغر القارئ عن الصعود إليه، وقد يتعالى هو عن النزول لأي قارئ، وسيميائيته تنبع من كونه يجسّد أعلى اقتصاد لغوي ممكن يوازي أعلى فاعلية تلق ممكنة تغري الباحث والناقد بتتبع دلالاته، مستثمرا ما تيسر من منجزات التأويل" ([7])

وترتبط العنونة بالثقافات الكتابية، فهي" ظاهرة كتابية وجدت في نهاية الرقم الطينية الحثية معطيات بالعنوان وكذلك في إبيلا "[8]وهما حضارتان كتابيتان قديمتان، وكان العرب القدماء أصحاب ثقافة شفاهية يعنونون قصائدهم بمطالعها، فيقال قصيدة عبدة بن الطبيب" هل حبل خولة بعد الهجر موصول..." ويرى كوهين أنّه" قد يكون مطلع القصيدة عنوانا"[9]، وقد عنونت بعض القصائدالعربية القديمة بعنوان دال كـ"الهاشميات"للكميت، ويقال إنّ ذلك "سابقة في تاريخ العنونة الشعرية العربية"[10] وقد عنون المعري (366-449هـ) بعض دواوينه باللزوميات و سقط الزند، ويرى مالارميه وكذلك الغذامي أنّ عنونة الشعر إساءة إليه وتآمر ضده[11]، أمّا عنونة القصائد العربية الحديثة فبدأت بحافظ إبراهيم الذي عنون جزءا من قصائده، كما عنون إيليا أبي ماضي جزءا معتبرا من قصائده [12] وقيل بدأت بأحمد شوقي[13].

وترى الدراسات الأدبية المعاصرة أنّ" العنوان ليس عنصرا زائدا، وإنّما عتبة ... من عتبات النص وعنصر مهم في تشكيل الدلالة، وتفكيك الدوال الرمزية، وإيضاح الخارج قصد إضاءة الداخل " ([14]) وهو" عتبة يطأها الباحث السيميولجي لاستنطاقه واستقرائه بصريا ولسانيا وأفقيا وعموديا"([15]) وحصر جيرار جينيت

---

[4] . التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم، ج1، ص1242

[5] . التونجي، محمد. المعجم المفصل في الأدب، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1999م، ج2، ص664

[6] . حمداوي، جميل. السيميوطيقا والعنونة، ص99، وسيميائية العنوان في روايات عز الدين جلاوجي، بادحو أحمد، رسالة ماجستير، جامعة وهران، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية، 2015/ 2016م، ص68

[7] . قطوس، بسام موسى. سيمياء العنوان، مكتبة كتانة، إربد، الأردن، 2001م، ص6.

[8] . القاضي، صادق. عتبات النص الشعري في المعاصرة الشعرية وشعرية المعاصرة، ص19

[9] . حمداوي، جميل. السيميوطيقا والعنونة،ص98

[10]، القاضي، صادق. عتبات النص الشعري في المعاصرة الشعرية وشعرية المعاصرة، ص42

[11] . القاضي، صادق. عتبات النص الشعري في المعاصرة الشعرية وشعرية المعاصرة، ص73

[12] . القاضي، صادق. عتبات النص الشعري في المعاصرة الشعرية وشعرية المعاصرة، ص73

[13] . زينب، أوكسل. العنونة في شعر عبدالله العشي، مقام البوح أنموذجا. رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي، قسم اللغة العربية، 2015/2014م، ص23

[14]. قطوس، بسام موسى. سيمياء العنوان، ، ص54

[15]. أحمد، بادحو. سيميائية العنوان في روايات عز الدين جلاوجي، ص68

وظائف العنوان بـ" الوظيفة التعيينية، والوظيفة الوصفية، والوظيفة الإيحائية، والوظيفة الإغرائية" ([16]) ومن وظائفه الأخرى التعيين والإعلان أو الإيحاء بالمعنى([17])

ويستمد العنوان سلطته من قدرته على أن يكون نصا إبداعيا مستقلا موازيا للنص الذي يمثله، وقادرا على التأثير والتوصيل بطبيعته، وممسكا بمقاليد تفسير النص الذي يمثله، وهو عندئذ جدير بالوقوف عنده للدرس والتحليل، بل ستفرض سلطته الإبداعية أنّه لا يمكن لأية قراءة أن تتجاوزه في طريقها إلى النص الكبير" ([18])" ولن ينتظر القارئ طويلا حتى يكتشف أهمية العنوان،بل سيدرك أهميته من الكلمة الأولى التي افتتح بها الشاعر البيت الأول"([19])

ويُعدّ العنوان أول مكونات القصيدة التي تواجه المتلقي:" وهو عتبة الولوج والإدراك، ومخزون مواز لما في النصوص وجزء غير مرئي من تاريخ الكلمات"[(20)], فهو العتبة الأولى في هذه القصيدة، وهو القادر على أن يمنح المتلقي تصوراً ابتدائياً عنها، ويخلق نمطاً من التفاعل معها، إذ هو خطوة إيحائية بما تشتمل عليه القصيدة من مضمون، ونقطة يبدأ المتلقي خلالها الولوج إلى هذا العمل الشعري، لسبر مكنوناته، وفهم طبيعته ومكوناته[(21)].

ومن المهم أن يعي الناقد والقارئ عموماً أنّ العنوان ليس جزءاً من القصيدة، إذ يبدأ نظم القصيدة من السطر الأول فيها لا من العنوان، غير أن ذلك لا يمنع من إعطاء العنوان أهمية بالغة انطلاقاً من قيمته الفنية في فهم التشكيل الفني للقصيدة، واستيعاب عناصرها الجمالية والإبداعية[(22)].

وتكون بعض عناوين الأعمال الأدبية غير مرتبطة ارتباطاً عضويا بمحتوى ذلك الخطاب، وأحيانا يتحدث العمل الفني أو الأدبي عن شيء والعنوان يزجي شيئا آخر تماماً، ومع ذلك يختاره الكاتب وفق رؤية يقصدها. أمّا في غير الأعمال الفنية والأدبية فلا يُتصور أن يكون العنوان منبتاً تماماً عن محتوى الخطاب، كعناوين الكتب العلمية والطبية مثلاً، فالعنوان إشارة داله على ما يتناول من مواضيع طبية أو غير ذلك، ويكون بإمكان المتلقي الوقوف عند مكوناته ومضامينه بمجرد الاطلاع على ذلك العنوان وفهم طبيعته[(23)].

وبالتالي فإنّ العنوان يمثل النقطة الأولى التي تشد القارئ تجاه النصّ، وتدفعه لمتابعة سطوره الفنية، إذ للعنوان قدرة واضحة على تشكيل ذلك التصور الذهني لدى المتلقي، والوصول إلى القيمة الشعرية المنوطة به[(24)].

---

[16]. أحمد، بادحو. سيميائية العنوان في روايات عز الدين جلاوجي، ص68

[17]. قطوس، بسام موسى. سيمياء العنوان، ص52

[18]. العنزي، ناثر حسن جاسم،سلطة العنوان في قصيدة " الخيط المشدود في شجرة السرو" لنازك الملائكة، ص280

[19]. غازي القصيبي الذات وجدل الزمن، بهيجة مصري إدلبي، الجوبة،مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية، السعودية، عدد47، 2015م، ص12

[20] . غرايبة،نهال عبد الله. التشويش وجماليته في عناوين جمعة شنب, نبت الحرام نموذجا, مجلة جامعة الزيتونة الأردنية للدراسات الإنسانية والاجتماعية, عمان, مجلد 3, عدد 22, ص76.

[21]. بلعابد، عبد القادر، عتبات جيرار جينيت من النصّ إلى المناص، تقديم، سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2008م، ص 63.

[22]. بنيس، محمد، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989م، ص 76.

[23]. حسين، حسين علي محمد، التحرير الأدبي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الخامسة، 1425هـ/ 2004م، ص 61.

[24]. قطوس، بسام، سيمياء العنوان، إربد_ الأردن، الطبعة الأولى، 2002م، ص 53.

والحقيقة أن العنوان ليس شيئاً منفصلاً عن القصيدة، بل يتصل بالقصيدة وموضوعها اتصالاً عضوياً، فهو خيط رابط ينتظم القصيدة بسائر مكوناتها وأجزائها وعناصرها، وبناء على ذلك فإن اختيار العنوان ليس أمراً اعتباطياً يقوم به الشاعر دون هدف أو غاية، ودون أساس يسير عليه، أنّه عنصر يكرر نفسه منذ بداية القصيدة وحتى نهايتها للوصول إلى الهدف والغاية المنشودة منه[25].

ويعبّر العنوان في أكثر الأحيان عن الفكرة الرئيسة التي يتناولها الخطاب الشعري، ويتحدث عنها؛ لذا تظهر قيمته الإيحائية العميقة لدى المتلقي، وقد يكون العنوان اسم مكان، أو شخصية، أو ربما عبارة دارجة على ألسنة الناس، وبالتالي تحمل هذه العبارة قيمتها الإيحائية العميقة لدى المتلقي انطلاقاً من طبيعتها المعهودة لديه، وفي الوقت الذي يتلقى فيه المتلقي العنوان في أول القصيدة، فإنّ الكاتب يضعه في نهاية العمل، بمعنى أنّ العنوان آخر ما يضعه الشاعر أو الكاتب، وأول ما يواجه المتلقي عند النظر في هذا الخطاب أو ذاك، وبالتالي تختلف القيمة الفنية للعنوان بين المتلقي والكاتب، وربما كان العنوان مخيباً لآمال المتلقي انطلاقاً من أنّه لا يحمل القيمة الإيحائية التي طمح إليها، فربما ظهر مخيباً لعناصر المعنى المرتبطة به، ومنفصلاً تماماً عن موضوع القصيدة ودلالاتها ومكوناتها الفنية، وبالتالي لا يكون الكاتب أو الشاعر موفقاً في اختيار ذلك العنوان[26].

وانطلاقاً من هذه فإنّ القيمة الفنية والبنائية للعنوان في القصيدة الشعرية، يظهر أهمّيته في تلقي القصيدة لدى المتلقي، والولوج إلى مكوناته الفنية الإبداعية، والوقوف على عتباته النصّية، إذ لا يمكن وصف العناوين بالاعتباطية، والشاعر يضعها لهدف وغاية يقصدها، وهذا ما يحاول هذا الجزء من الدراسة بيانه وتوضيحه من خلال الوقوف على مجموعة وافرة من عناوين القصائد لدى الشاعر الإماراتي كريم معتوق، لفهم القيمة الشعرية لتلك العناوين بكل ما تشتمل عليه من عناصر الشعرية، وقيمة إيحائية ترتبط بمكونات القصيدة التي يتناولها الناقد أو المتلقي.

شعرية العنوان في دواوين كريم معتوق

يحدد العنوان هوية القصيدة فهو الرأس وهي الجسد، وهو" الموجه الرئيسي للمتن الشعري يؤسس غواية القصيدة والسلطة في التعيين والتسمية" [27] وأما عنوان الديوان فـ " هو العنوان الذي يشمل ديوانا شعريا تنجذب إليه الخطوط الدلالية لشبكة عناوين القصائد بداخله، ويمكن أن ينطبق هذا على مجموعة من الدواوين الشعرية التي يجمع بين أجزائها نوع من الانسجام والتناغم بحيث تغدو عناوينها يجمع بينها حد من التماسك الدلالي " [28]ويذكر العنوان " لمناسبة أغراضة ما يدل على أخبار شهيرة لأجل التأسي أو الاستشهاد أو الافتخار أو غير ذلك من مقاصد" [29]

---

[25]. مفتاح، محمد، دينامية النصّ، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، 1987م، ص 7.

[26]. الحجمري، عبد الفتاح، عتبات النصّ البنية والدلالة، شركة الرابطة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1996م، ص 18.

[27] . محمد، عبد الناصر حسن. سيموطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي، ص9

[28] . محمد، عبد الناصر حسن. سيموطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي، ص98

[29] . المرصفي، حسين. الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، ج2، مطبعة المدارس الملكية، القاهرة، ط1، 1289هـ، ص118

وهو "حلقة أساسية ضمن البناء الإستراتيجي للنص، وأصبح بالإمكان أن نتحدث عن شعرية للعنوان كحديثنا عن شعرية النصوص المعروضة بعد العنوان" [30] يقول هوك" إن للعنوان في الشعر خطابا خالقا للجمال يجعل المعايير والقلم المتمظهر في النص مجانية واحتياطية ومحايثة لأنّها محكومة بقانون جمالي يبعد الحقيقة عن النص"[31] ويرى بارت أنّ " العناوين عبارة عن أنظمة دلالية سيمولوجية تحمل في طياتها قيما أخلاقية واجتماعية وأيديولوجية" [32]

والأصل أن يكون عنوان الديوان دالا على القصائد أو متعالقا مع بعضها،وتكون شبكة معنوية نواتها عنوان الديوان، ويشكل عنوان الديوان" النواة التي يتم عن طريقها تبئير انتباه القارئ وهو العنوان الذي يشكل المفتاح الأول للمؤلف"[33]

وعنوان الديوان الشعري ليس كعنوان الكتاب النثري، لأنّ الشعر حالم جياش يسير في دروب الخيال وهيام العاطفة أمّا النثر فيلجمه العقل والوظيفة والتقنين، ومع ذلك يبقى العنوان في المجموعات الشعرية ذا نكهة خاصة وشخصية فريدة، وعلاقته بالنصوص" علاقة كنائية رمزية معقدة في ظل عدم قابلية القصيدة للاختزال والتلخيص... (إذ) يكتفي بالإيحاء والإيماء والمداورة" [34]وهو " جهاز علاماتي، قائم على الإشارة والمواربة التي تشي ولا تفشي، وتشف ولا تكشف، إنه وعد لا إنجاز"[35]

ويقال إنّه " في البدء يكون العنوان إذ هو أولى عتبات التواصل بين المبدع والمتلقي، وإذا كان النص الإبداعي القديم يحفل بـ (عنوان)، فإنّ النص الإبداعي الحديث احتفى بالعنوان احتفاء وعناية جعلته نصا موازيا لما يمثله، رغم أنّه نص مقتضب لا يكاد يتجاوز الجملة وإن طال، واستقطب اهتماما كبيرا في الدراسات النقدية الحديثة، حتى ذكروا له دورا وأنواعا ووظائف في الأعمال الإبداعية وفي غيرها، وجعلوا له دورا في بعض الأحيان مركزيا وحاسما في قراءة تلك الأعمال، وربما راح ينازع متن النص الذي يمثله في حث القارئ على تأويل فحوى العمل واكتشاف دلالاته" ([36])

لا بأس من النظر في عناوين الدواوين ذاتها التي أتى بها الشاعر كريم معتوق، فدراسة عتبات النصوص " المداخل التي تجعل المتلقي يمسك بالخيوط الأولية والأساسية للعمل المعروض، وهي أيضا البهو ... الذي منه ندلف إلى دهاليز نتجاوز فيها مع المؤلف الحقيقي والمتخيل داخل فضاء تكون إضاءته خافتة، والحوار قائم في شكليه العمودي والأفقي حول النص ومكوناته المتعددة التي نربط من خلالها مع المحكي علاقات عدة " [37]

---

[30] . محمد، عبد الناصر حسن. سيموطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002م، ص10

[31] . محمد، عبد الناصر حسن. سيموطيقا العنوان في شعر عبدالوهاب البياتي، ص66

[32] . محمد، عبد الناصر حسن. سيموطيقا العنوان في شعر عبدالوهاب البياتي، ص8

[33] . حليفي، شعيب. النص الموازي في الرواية (إستراتيجية العنوان)،ص87

[34] . القاضي، صادق. عتبات النص الشعري في المعاصرة الشعرية وشعرية المعاصرة، القاهرة، مؤسسة أروقة للدراسات، 2012م، ص76

[35] . القاضي، صادق. عتبات النص الشعري في المعاصرة الشعرية وشعرية المعاصرة، ص76

[36]. العنزي، ناثر حسن جاسم،سلطة العنوان في قصيدة " الخيط المشدود في شجرة السرو" لنازك الملائكة، مجلة الآداب، جامعة بغداد، عدد 109، 2014م، ص275.

[37] . محمد، عبد الناصر حسن. سيموطيقا العنوان في شعر عبدالوهاب البياتي،ص102 نقلا عن جميل حمداوي ص 8

وقد حملت عناوين دواوين معتوق المتعددة قيما جمالية فنية ومن هذه العناوين: "ديوان المعلقة الثامنة"، وقصد الشاعر بهذا العنوان تحفيز ذهن المتلقي إلى ربط الماضي بالحاضر، فالمعلقات سبع، والشاعر هاهنا يختار المعلقة الثامنةعنواناً؛ ليجذب إليه المتلقي، مع أنّ الديوان لم يشتمل على قصيدة بعنوان المعلقة الثامنة، لكن المعلقة الثامنة تبقى تركيبا موحيا ودالا يفشي " قيمة تناصية على القارئ أن يكتشفها أو يوجدها أو يتأولها باعتبارها مسؤولية قرائية"[38]

ومنه أيضاً عنوان ديوانه: "هل يحب الله أمريكا؟"، وهو عنوان إنشائي مباشر يستحوذ على ذهن المتلقي، انطلاقاً من معنى السؤال الدال على التعجب، وإحساسه بغرابة ما يحدث في هذا الكون بوجود أمريكا، باعتبارها المتحكم بهذا العالم، وقد كان هذا العنوان وثيق الارتباط بمضامين القصائد، انطلاقاً من القيمة الدالة المنوطة بهذا الديوان ذاته، وما هذا العنوان إلا اختزال لما يشتمل عليه الديوان من قصائد، ومخزون ضمني موحٍ للمتلقي بما فيه من قضايا وأفكار وأشعار(39).

وآخر عنونه بـ " سوانح" وتكونت المجموعة الشعرية من ثلاثة قصائد، وهي سوانح آرال، وسوانح غياب آرال، وسوانح متفرقة، وجميع القصائد تبث هما يغلّفه الحب ووجده، يوجهه الشاعر إلى محبوبة تبدّل حالها، وما يمكن قراءته خلف السطور أنّ تلك المحبوبة، تمتد عبر جغرافيا الوطن العربي كلّه، وتشكل القصائد الثلاثة سلسلة عنقودية من المقاطع الشعرية طويلة وكلّها تتشعب من العنوان سوانح وتصدر عنه، ويصدق فيها قول البياتي " إنّ قصائدي الأولى الطويلة كانت مقسمة إلى عناقيد كل عنقود منها يمكن أن يقرأ وحده ولكن محصلة عناقيد القصيدة النهائي يشكل وحدة جديدة لهذه العناقيد بالرغم من وحدة كل عنقود منها على انفراد"[40]

ويطالعنا الشاعر بعنوان آخر لأحد دواوينه يسمه بـ" قسطرة"، وهو مختصر يحمل الدلالة الضمنية لهذه الكلمة، اعتماداً على امتياحها دلالتها من حقل الطب المعرفي، وهو ما صرح به الشاعر عند حديثه في إحدى قصائد عن القسطرة الطبية التي أجراها، معبّرا عن إحساسه بصعوبة تلك الحادثة وما تضمنتها.

وله ديوان آخر عنوانه "ولديّ أقوال أخرى" وتكونت من ثلاثين قصيدة تراوحت بين بث الهم الشخصي والهم القومي والإنساني، واتسمت العلاقة بين عنوان المجموعة الشعرية والنصوص بالـ "علاقة التلازمية الاستدعائية، فكل منهما يذكر بالآخر" [41] وله مجموعات شعرية أخرى عنونها بـ"رحلة الأيام السبعة"،و" أعصاب السكر" كما جمع هذه المجموعات في ديوان يضم معظم أعماله المنشورة.وله أعمال أخرى غير منشورة.

شعرية العنوان في قصائد كريم معتوق

وعند النظر في عناوين القصيدة نجد الشاعر كريم معتوق يضع عناوينه بصورة دالة، فالعنوان لفظ " مشتق من المعنى والتفسير والتأويل، أي أنّ العنوان يفسر شيئا ما، وإنه يحمل معنى هذا الشيء، وإن عنونة شيء بعينه تعدّ سمة هذا الشيء ومعناه ومقصده" [42] وهو " مصطلح إجرائي ناجع في مقاربة النص الأدبي ومفتاح أساسي يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها وتأويلها، ويستطيع العنوان أن يقوم بتفكيك

---

[38] . القاضي، صادق. عتبات النص الشعري في المعاصرة الشعرية وشعرية المعاصرة، ص85

[39]. غرايبة. التشويش وجماليته في عناوين جمعة شنب, ص76.

[40] البياتي، عبد الوهاب. كنت أشكو إلى الحجر، مجموعة حوارات أجريت مع البياتي، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، 1993م، ص51

[41] . القاضي، صادق. عتبات النص الشعري في المعاصرة الشعرية وشعرية المعاصرة، ص76

[42] . عويس، محمد. العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية،ط1، 1988م، ص17

النص من أجل تركيبه عبر استكناه بنياته الدلالية والرمزية، وأن يضيء لنا بداية الأمر ما أشكل من النص وغمض" [43]

وأول هذه النماذج عنونته لإحدى قصائده بـ "الصندوق القديم"، وهي القصيدة الثالثة من مجموعته الشعرية ديوان المعلقة الثامنة إذ سبقتها قصيدتان وهما " دمعتان لأحمد راشد" و"ضاعت القصيدة". ويشكل عنوان القصيدة "الصندوق القديم" بؤرة تجتمع فيها مجموعة الدفقات الشعورية التي أطلقها الشاعر عبر أنسجة قصيدته المتصاعدة، حين يقول[44]:

وفتحتُ الآن صندوقًا تناستهُ الوصايا
كنتُ أخفي فيه أشيائي القديمة
وبه ممّا به بعض الهدايا
...وشظايا من بقايا كتبي
وحكايا سبحةٍ سوداءَ كانت لأبي
...ها هُنا خاتَمُ أنثى
قد تناستهُ معي عَمْدًا لكي أذكر أيام هوانا
ومعي .. ماذا معي ؟
ريشُ نعامٍ صار في القرآنِ أكبرْ

يتكون العنوان من وحدتين كلاميتين، يربط بينهما علاقة الوصف، فإن الصندوق يوصف بأنّه قديم، وبذلك يوحي الشاعر بأنّ ما ستتحدث عنه القصيدة جزءا من الماضي، ووصف لما طواه الزمن، ولفظ "الصندوق القديم" يحمل دلالة سيميائية تشي بعبق الماضي، إذ إن كلمة "قديم" توحي للمتلقي بأنّه ثمة أشياء يود الشاعر مشاركة ذكراها مع المتلقي، ويود البوح بها عبر هذه القصيدة؛ لذا جعل من العنوان عنصراً سيميائياً موصلاً لفكرته التي أرادها. يقول كريفل" يحقق العنوان وظيفة نصية ... بهو أول يتم الولوج منه إلى النص، فلا يوضع اعتباطا وإنما تؤطره خلفية ثقافية عامة، تحدد قصدية العنوان" [45]

ومعتوق يسبر بهذا الصندوق جمال الكتب القديمة المرتبطة بالطفولة وجمال السبحة السوداء التي كان والده يسبّح بها، وكيف كانت تلك الأشياء علامة فارقة في حياة ممزوجة بعبق الأبوة، ويسبر أعماق الذاكرة الشعبية القديمة التي تشرّبه الأطفال يوم كانوا يؤمنون بقدسية وضع ريشة النعام داخل القرآن الكريم في مدارسهم، ويوم كانوا يعتقدون أن تلك الريشة تنمو داخل القرآن فيعطرونها بالعطور الزكية وبعض الزيت، إنه الصندوق القديم تفوح منه رائحة الماضي اللذيذ، وعلامة تحمل في طياتها بعدا سيميائيا يضيئ عتمة النص فـ" العنوان إشارة مختزلة ذات بعد إشاري سيميائي يحمله المتلقي باعتباره مفتاحاً يلج به أغوار النص، قصد محاكاته وتأويله"[46].

---

[43] . محمد، عبد الناصر حسن. سيموطيقا العنوان في شعر عبدالوهاب البياتي، ص7

[44]. الحجمري، عبد الفتاح، عتبات النصّ:البنية والدلالة، شركة الرابطة، الدار البيضاء،المغرب، الطبعة الأولى، 1996م، ص 18. ص 10.

[45]. حليفي، شعيب. النص الموازي في الرواية (إستراتيجية العنوان)، ص98

[46]. برهومة، عيسى عودة، سيمياء العنوان في الدرس اللغوي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، العدد، 97، المجلد، 25، 2007م، ص 147.

وفي موضع آخر وضع الشاعر عنون قصيدته بـ "فاعلاتن فاعلات"[47]، ويحمل هذا العنوان دلالة سيميائية للشعر بصفة عامة، فـ "فاعلاتن" وأخواتها تمثل الشكل اللفظي لتفعيلات القصيدة الشعرية، والتفعيلات كما نعلم هي الوحدات الوزنية التي يعتمد عليها الشاعر في تشكيل البنية العروضية لقصيدته، والسطر الشعري يتكون من مجموعة من هذه التفعيلات، وبالتالي شكّل هذا العنوان سمة علاماتية لهذه القصيدة، فهو" يعلن عن طبيعة النص ومن ثم يعلن عن نوع القراءة التي تناسب هذا النص"[48]

ويحمل هذا العنوان قدراً شاعرياً متمثلاً بربط القصيدة بمادة الإيقاعية البدئية التي تتكون منها، والعنوان لفظ صريح لتفعيلات العروض التي يستعملها الشعراء لتشكيل وزن قصائدهم، وكأن الشاعر يخبر المتلقي أن مقصده نصه شعرية القصيدة وجمالها الموسيقي، وأن عناوين القصائد تحمل هذا الإيحاء بالمكونات الشعرية العروضية للقصيدة.

وفي عنوان آخر "اسألي"[49]، يُلحظ أنه يتكون من جملة طلبية تكونت من فعل أمر يليه ياء المخاطبة، وبنية الجملة التركيبية المثمثلة في الجملة فعلية تمنح العنوان دلالة أقوى اعتماداً على العلاقة النحوية التي تربط مكوناته ببعضها.

ويحمل هذا العنوان المكون – ظاهرياً – من لفظ واحد خطاباً مباشراً لمؤنث، وهي المخاطبة، وذلك بدفعها كي تسأل عما يجول في خاطرها، ويدور في ذهنها، وتلك المخاطبة سماها الشاعر باسم "سلمى"، وأخذ يعدد لها بعض ما يجول في ذهنه من الخواطر الجياشة، ثم يطلب منها أن تسأله، فكأنّه هو السائل والمجيب، وما هذا إلا ربط للعنوان بمكونات القصيدة اللفظية من جهة، والمكونات الفنية القائمة على الحوار والخطاب، وفقاً لما اقتضته طبيعة هذا السؤال والجواب بين الشاعر والمخاطبة.

هذا هو الأساس الذي بنى عليه الشاعر هذا الخطاب لتلك الأنثى، سعياً منه لدفعها كي تسأل، وهو ما يحمل قيمة شعرية كبيرة وعميقة في نفس المتلقي، إذ ثمة مظهر تشويقي متمثل بمحاولة المتلقي فهم تلك الأسئلة التي يطلب الشاعر من المخاطبة أن تطرحها وتسألها، وقد أتى هذا المعنى عبر مكونات العنوان الدالة على السؤال، والمرتبطة بمعنى الخطاب، مما منحه قيمة شعرية أكبر، ودلالة فنية أعمق. " وظيفة الإغراء والتي لا يمكن التملص منها، وذلك أن للعنوان جاذبية" [50]

ومن العناوين أيضاً عنوان: "بين بين"[51]، إذ يحمل هذا العنوان دلالة عميقة جداً، وتلهفاً كبيراً من قبل المتلقي لفهم ذلك المعنى المقصود الذي ستبوح به القصيدة، فما هو الذي بين بين؟ ولاسيما أن العنوان يكرر لفظ "بين" مرتين، ولا يبين للمتلقي ما هو الشيء المرتبط بهذا الظرف، مما أعطاه قدراً من القوة الإيحائية، والسمة العلاماتية على الدلالة العميقة لهذا العنوان، ثم بدأ الشاعر قصيدته بقوله[52]:

بين حزني وانكساري

---

[47]. معتوق، ديوان المعلقة الثامنة، ص 25.

[48] . محمد، عبد الناصر حسن. سيموطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي، ص10

[49]. معتوق، ديوان المعلقة الثامنة، ص 34.

[50] . حليفي، شعيب. النص الموازي في الرواية (إستراتيجية العنوان)، ص100

[51]. معتوق، ديوان المعلقة الثامنة، ص 56.

[52]. معتوق، ديوان المعلقة الثامنة، ص 56.

فسحةٌ من زمنين
وأنا أحملُ همي
فوق عجزٍ باليدينْ
بهما خوفٌ قديمٌ
وارتباكُ الشفتينْ
...
صار رعبي بين بين
صرتُ لا أبحث إلا
عن أخف الضررين

ويظهر من خلال الوحدة الكلامية الأولى من هذه القصيدة اعتماد الشاعر على لفظ "بين" فقد بدأ بها القصيدة، مما يعني الربط العضوي الوثيق بين العنوان ومحتوى القصيدة، مما جعل الشاعر يبدأ به الكلام في قصيدته، الأمر الذي يوثق الصلة بين العنوان ومحتوى القصيدة وفقاً لما استقر في ذهن المتلقي. فالقصيدة تحكي العلاقة البينية الناشئة بين العجز والارتباك، والبكاء والتضرع بين الهجر والبقاء، بين الخوف والانكسار بين هذه الثنائيات يقف الشاعر مشدوها يبحث عن أخف الضررين، ليكون العنوان" المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص وتسهيل مأمورية الدخول في أغواره وتشعباته الوعرة"[53]

أما العنوان "ملامسات"[(54)]، فقد كان عتبة عبرت القصيدة به نحو سبع لمسات عجاف ارتكزت عليها مقاطع القصيدة: الصمت، والحزن، وشوق الغيرة، والروح، والظل، والصيف، والشوق المرتجف، فقد حمل العنوان قيمة تصويرية حسية، انطلقت من طبيعة حاسة اللمس التي يعتدّ بها الإنسان في حياته اليومية، وهو ما قصده الشاعر عند وضع العنوان المكون من كلمة واحدة، فعلى الرغم من أنّها كلمة واحدة إلا أنّها تحمل مقداراً كبيراً من الشعرية والإيحاء والتصوير الذهن حسي الذي يرسّخ في ذهن المتلقي قيمة تلك الملامسات، ويحتفظ العنوان في ذاكرتنا بألق اللمسات النزاحة نحو المعنويات وإشعاعها الشعري وكأنها أكثر شعرية من نصوصها [55] ونعبر به إلى الجمل التي كررها الشاعر في بداية كل مقطع من مقاطع قصيدته السبعة[(56)]:

لمستُ الصمتَ فانفردتْ
لمستُ الحزنَ فابتسمتْ
لمستُ الشوقَ فاشتعلتْ
لمستُ الروحَ فانعطفت
لمستُ الظلَ فارتابتْ
لمستُ الصيفَ فازدحمتْ
لمستُ الشوقَ فارتجفتْ

---

[53] . حمداوي، جميل. السيميوطيقا والعنونة،ص 90

[54]. معتوق، ديوان المعلقة الثامنة، ص 76.

[55] . محمد، عبد الناصر حسن. سيموطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي، ص15

[56]. معتوق، ديوان المعلقة الثامنة، ص 76.

مجموعة الجمل المكررة ترتبط بالعنوان، وتحمل في ثناياها ما قصده الشاعر بالعنوان، والملامسات مع الصمت أو غيره تراتبت على شكل جمل مكررة متماثلة، فكان العنوان النوتة الموسيقية النواة ومطالع المقاطع في القصيدة تفرعات لتلك النوتة الموسيقية، فالعنوان:" نظام سيميائي، وحقل دلالي يوازي أعلى فعالية تلقٍ تتصل بالمتن وتدل عليه وتشير إلى معناه، فهو إذن علامة لغوية سيموطيقية تقوم بوظيفة الاحتواء للنص، كما يؤدي وظيفة تناصية، وهو وسيلة خادمة للنص وللقارئ كأول ما يصدم به القارئ فيتخذ كمفتاح تدخل به إلى تفاصيل النص"[57]ولا شك أنّ كل عنوان يوحي بشيء ما في داخل القصيدة التي يريدها الشاعر، والمعاني التي يطمح إليها، والعنوان عنصر مهم في تشكيل هذه الغايات لدى الشاعر[58].

ومن العناوين اللافتة أيضاً عنوان: "عبد الرب"، إذ يقول الشاعر في بداية القصيدة ذاكراً عبد الرب[59]،

كان عبدُ الربِّ صوتاً تترياً
ولذا يدعونهُ عبدَ المعينْ
كان قِزْماً لا يردُ الطولَ للأسبابِ
لا يعني له مدُّ الفتوحاتِ الذي يعني لكلِ الفاتحينْ
....
عاد عبدُ الربِ من ذاكرةِ الأمسِ
تمطى، وهو في القبرِ قصيرٌ
مثل قطٍ يتوارى
خاتلاً يرصدُ فأراً
قربَ بابِ البيتِ أغرتهُ قدورُ الطبخِ
فانسلَّ نهارا
.....
ماتَ منسياً كما تُنسى الدفاترْ
حينما يبتدئُ الصيفُ
فطوبى للمقابرْ

يحمل هذا العنوان مقداراً لا بأس به من التشويق والمفاجأة للمتلقي، انطلاقاً من القيمة السيميائية التي يحملها، إنها سمة العبودية التي أضافها الشاعر لـ "عبد الرب" بقصد منح هذا العنوان قدراً من الإبداع والإيحاء العميق لدى المتلقي، إذ إن كلمة "الرب" التي جعلها الشاعر جزءاً من عنوان القصيدة ترتبط بمحتواها، ثم إنه حاول الابتعاد عن هذه الكلمة تحديداً، واستبدلها بـ "المعين" وذلك حينما أشار إلى أن هذا الشخص يُسمى عبد المعين، فكان العنوان ذا ارتباط وثيق بفحوى القصيدة ومقتضاها، ودالاً دلالة غير مباشرة على ما تشتمل عليه من معنى وتشكيلات فنية.فـ" العنوان كما يرى رومان جاكوبسن " عبارة عن رسالة لغوية يتم تبادله بين المرسل والمرسل

---

[57] . زينب، أوكسل. العنونة في شعر عبدالله العشي، مقام البوح أنموذجا. رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي، قسم اللغة العربية، 2015/2014م، ص 12

[58]. الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، ص 35.

[59]. معتوق، ديوان هل يحب الله أمريكا، ص 23.

إليه، والطرفان يساهمان في التواصل المعرفي والجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية يفككها المستقبل، ويؤولها بلغته الواصفة أو الماوراء لغوية وهذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعرية أو الجمالية ترسل عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال"[60]

فالنص يتعاضد مع العنوان في إيصال تلك الرسالة المشفرة، إن عبد الرب نموذجا لشخصية الإنسان النغمس في السعي نحو دعوة الناس إلى فكرة يؤمن بها دون أن يفهمها، ذاك عبد الرب الذي تكرر لفظه في النص ما ينوف عن عشر مرات وعمر لفظ اسمه النص كلّه، تقلّب ما بين صورة السبحة الصوفية والقبر، مقت التحوّل في نظرة المجتمع للقيم، مرّ بأطوار عدة، وقام بمحاولات شتى غير أنّه مات دون أن يعرف شيئا، كان أميّا، نُسي كما يَنسى طلاب المدارس دفاترهم حين تبدأ العطلة الصيفية.

و" العنوان من مظاهر الإسناد والوصل والربط المنطقي وبالتالي فالنص إذا كان بأفكاره المبعثرة مسندا فإن العنوان مسندا إليه، فهو الموضوع العام بينما الخطاب النصي، يشكل أجزاء العنوان الذي هو بمثابة فكرة عامة محورية، أو بمثابة نص كلي"[61] وعلى الرغم من أن العنوان ليس جزءاً من البنية الشعرية للقصيدة، غير أنّه لا يمكن أن يعدّ عنصراً خارجاً عنها، وهو في كثير من الأحيان يحيل على القصيدة برمتها، من هنا تظهر أهميته في بناء القصيدة، ودوره في تشكيل الرؤية الفنية لها في ذهن المتلقي بمجرد الوقوف عند هذه العتبة النصّية[(62)]، وعبد الرب الذي عُنوِنَت به القصيدة كان مسندا إليه والنص مسندا.

ويأتي الشاعر كذلك بعنوان: "هل يحب الله أمريكا..؟"[(63)]، وهو العنوان الذي اختاره الشاعر لمجموعته الشعرية، قاصداً جذب المتلقي نحو هذه الفكرة، ومنحه نوعاً من التفاعل مع النصّ الشعري باعتبار هذا السؤال نواة المجوعة الشعرية كلّها، وأضاف بعد جملة الاستفهام نقطتين كعلامة للحذف، وعلامة استفهام "؟" يقول:

وجعي ينزفُ في الملهى
ولا تسكتُ موسيقى الصباحْ
أنا لا زلتُ وأمريكا كما كانتْ
تبيعُ الموتَ والحبَّ بأكفان السلاحْ
هل يحبُ اللهُ أمريكا
سلام...

يحمل العنوان دلالة أيديولوجية، وتفصح عن وجع يعبّر عنه العنوان، فقد حملت عبارة هل يحب الله مفارقة عمرت جميع أركان القصيدة، فمن الوجع النازف في الملهى ومن ثنائية الموت والحب، ومن السلاح وأكفان الموتى ينبعث حب أمريكا، وما بين القتل والسلام يتنامى النص،وتسمه المفارقة الكامنة في العنوان. فهو" رسالة، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل والمرسل إليه بحيث يساهمان في التواصل المعرفي والجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشيفرة لغوية يفككها المستقبل، ويؤلفها بلغته الواصفة (الما وراء لغوية) وهذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعرية أو

---

[60] محمد، عبد الناصر حسن. سيموطيقا العنوان في شعر عبدالوهاب البياتي، ص29

[61] . حمداوي، جميل. السيميوطيقا والعنونة،ص97

[62]. الجزار، محمد فكري، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م، ص 35.

[63]. معتوق، ديوان هل يحب الله أمريكا، ص 47.

الجمالية ترسل عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال، بيد أنّ وظيفة العنوان في الأدب لا يمكن أن تكون مرجعية أو إحالية بل إن واجب العنوان أن يخفي أكثر مما يظهر، وأن يسكت أكثر مما يصرح، ليعمل أفق التلقي على استحضار الغائب أو المسكوت عنه " [64]

ثمة أشياء يشع به عنوان القصيدة: هل يحب الله أمريكا؟ ويؤشر إليه، وثمة ارتدادات تختبئ خلف فؤاد كل متلقٍّ ينظر لـ "أمريكا" وفق منظور خاص به. ويظل العنوان محملا بالسيمياء والشعرية وفق رقصة العنوان والنص لذا قيل " إننا لا نميز بين السيميوطيق والشعرية (البويطيقا) لأن كريماس كان يدعو إلى الدمج بينهما، وصهرهما في بوتقة واحدة إلا وهي السيميوطيقا " [65]

وأما العنوان: "لا منتمي"(66)، فهو عنوان يحمل في ثناياه التمرد والخروج على المألوف، وهو ما أراد الشاعر زرعه في ذهن المتلقي منذ الوهلة الأولى، ليصل الشاعر إلى مقصده بدفع المتلقي نحو البحث في مكنونات القصيدة، وعناصرها المكونة لها، والتراكيب الدلالية المنوطة بجوانبها كافة، وتوجيه الذهن نحو طبيعة هذا الانتماء الذي ينفيه الشاعر عن نفسه، ويبين شكل ذلك التمرد الذي لم يتورّع الشاعر بالتصريح به منذ العتبة الأولى، هذا العمق والتشويق الذي اتسم به هذا العنوان كفيلاً بأن يجعل المتلقي يستمتع بعنوان شعري إشكاليّ، مع إمكانية إدخاله في جسم المعنى والدلالة بما ينسجم مع الهدف المنشود من هذه القصيدة، فـ" عتبات النص مفاتيح سحرية تأخذ بيد القارئ إلى ولوج أغوار النص واقتحام عوالمه واستكناه مجاهيله وفك مغاليقه " [67]

وأمّا عنوان القصيدة: "الجمال"(68)، فهو عنوان مختزل بكلمة واحدة، واسع الدلالة، أراد به الشاعر أن ينقل المتلقي إلى جو من التفكير المتعمق والإيحائي بمقصده من هذا العنوان، والكيفية التي ارتآها لتلك القصيدة بما تشتمل عليه من دلالات وأفكار، فالجمال إشارة واضحة لعنصر إبداعي سيتحدث عنه الشاعر في إطار قصيدته الشعرية، وسيتناوله بكل مكوناته التي يراها إبداعية وجميلة، فكان العنوان موحيا ومصدراً لاستثارة ذهن المتلقي، ودفعه لمزيد من التأمل والتفكير للوصول إلى غاية الشاعر من وضع عنوانه، فمن الناحية البنائية أخذ الشاعر يرصد مجموعة من اللوحات الجمالية، ويكرر لفظ "الجمال" ضمن هذه اللوحات لمزيد من إظهار إبداعه وفنه، ومن الناحية الدلالية فإن جُل التصويرات والمشاهد التي أتى الشاعر على ذكرها في هذه القصيدة تحمل رونقاً جمالياً مميزاً، ومن ذلك قوله(69):

وبها الجَمالُ يَمُدُّ في سَقْفِ القَصيدَةِ
ما يَشاءُ مِن الغَمامْ
تَمشي كَأُغنِيَةٍ بها سَيْلٌ مِن الأَلحانِ
راقِصَةً وأَضْلُعُنا المَقامْ
يَمشي الطَريقُ كجَوْقَةٍ

---

[64]. قطوس، بسام موسى. سيمياء العنوان، ، ص50

[65] . حمداوي، جميل. السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، عدد3، مجلد25، الكويت، يناير/مارس، 1997م، ص 83

[66]. معتوق، ديوان هل يحب الله أمريكا، ص 63.

[67] . بلعيدة، حبيبي. العتبات في ديوان أسفار الملائكة لعز الدين مهيوب، المقدمة ص أ

[68]. معتوق، ديوان لدي أقوال أخرى، ص 24.

[69]. معتوق، ديوان لدي أقوال أخرى، ص 26.

لا خَلفَ فيه جَميعُ مَن فيه الأَمامْ
فتُثيرُ أسماءَ الدكاكينِ القَديمةِ
والأزقَّةَ والحَمامْ
فكأنها حَربٌ من القَتلَى
بقارِعةِ الطَريقِ كأنَّها حَربُ السلامْ
ما أعذبَ الكلماتِ إنْ خَجِلتْ
ولم تُدْرِكْ مِن المَعنى التَمامْ

ويحمل العنوان "المريد"[70]، المكون من كلمة واحدة مزيدا من الدلالة العميقة، ويشير إلى قدر غير يسير من المعاني التي أرادها الشاعر عبر زجّه بكلمة، ومع أنّ القصيدة لا تتناول معنى المريد،و العنوان لا ينفصل عن فحوى القصيدة التي تتحدث عن ذكرى رحيل خالد سعود الزيد، فقد ارتبط ارتباطا رمزيا بالقصيدة وبمحتواها ومقاصدها، وهذا ما أراده الشاعر من عنونة القصيدة بـ "المريد"، وفي بعض الأحيان يأتي العنوان منفصلاً تماماً عن مضمون القصيدة، ولا يحمل دلالة معنوية مباشرة على ما في القصيدة من مضمامين، غير أنّ الشاعر يفعل ذلك قصداً، ويأتي به لهدف في أعماقه قد لا يتمكن الناقد الحصيف من الوقوف عند الغاية المنوطة به[71]. وحقيق بالعنوان أن يكون جنسا مستقلا له مكوناته البويطيقية وخصائصه البنيوية كالتقديم مثلا، يقول جيرار جينيت " إن التقديم كالعنوان هو جنس وكذلك النقد (ميتانص)...، أي إن العنوان باعتباره مظهرا وقسما من أقسام النصّية يعتبر بمفرده جنساً أدبياً مستقلاً كالنقد والتقديم ... ويعني هذا إن له مبادئه التكوينية ومميزاته التجنيسية"[72]

ومن ذلك: "موزارت[73] الشعر"[74]، فقد كان موزارت موسيقياً ولم يكن شاعراً، غير أنّ الشاعر اختاره كشخصية جديدة إبداعية وعنون به القصيدة، موزارت شخصية مميزة لها كيانها وإبداعها الفني الخاص، فثمة موزارت للشعر أيضاً، فيه من التميز والإبداع ما يكفي لمقايسته بموزارت الموسيقي المعروف في ميدانه الفني، لذا يمتلك تركيب "موزارت الشعر" قوة إيحائية عظيمة، ونمطاً شاعرياً مميزاً للوصول إلى تشويق المتلقي بمحتوى القصيدة وفحواها، وفي سبيل تحقيق عناصر الجمال الشعري المنشود عبر هذه القصيدة.

ومنه كذلك: "لأنك أو"[75]، إن الشاعر لم يتم المعطوف عليه في هذه الجملة التي جعلها عنواناً، وبذلك أبقى المتلقي معلقاً بهذا التابع الذي لا بد من وجوده في التركيب العطفي وقد جعله الشاعر مكوناً مهماً من مكونات عنوان هذه القصيدة، كما إن معنى التعليل الذي حمله "لأنكِ" له دور بارز في تحقيق هذه المعاني، وتنمية الدلالة التركيبية المرتبطة بمثل هذه الدوال الكلامية، بمعنى إن الشاعر قد اعتمد على الجانب التركيبي القادر على منح العبارة – العنوان – نمطاً إيحائياً تشويقياً يدفع المتلقي لمزيد من التفاعل معه، ولمزيد من التأمل في مكوناته

---

[70]. معتوق، ديوان لدي أقوال أخرى، ص 49.

[71]. حسين، التحرير الأدبي، ص 61.

[72] . محمد، عبد الناصر حسن. سيموطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي، ص32

[73]. موزارت، هو موسيقار عالمي، له عدد كبير من المؤلفات والسيمفونيات الموسيقية المميزة.

[74]. معتوق، ديوان لدي أقوال أخرى، ص 105.

[75]. معتوق، ديوان قسطرة، ص 42.

ودلالاته، وصولاً إلى الغاية المرجوة من هذه القصيدة، ووصولاً إلى ربط خفي عميق بين عنوان القصيدة ومحتواها. فالعنوان -" مرآة مصغرة لكل ذلك النسيج النصي، تعكس الأفكار والخلجات المختلفة"[76]

ومنها أيضاً: "موت مؤقت"[(77)]، يحمل هذا العنوان دلالة غرائبية، ومستوى انزياحياً كبيراً، إذ لا يكون الموت مؤقتاً، إنما هو عنصر المفاجأة الذي أراد الشاعر أن يضع المتلقي فيه، حتى يتساءل بينه وبين نفسه، كيف يكون الموت مؤقتاً؟ هو عنوان عميق الدلالة، واسع الإيحاء، أتى به الشاعر كي يمنح المتلقي مقداراً من التشويق والانجذاب نحو هذه القصيدة، وتجاه ما فيها من المعاني، فاستطاع أن يحقق جُل ما يطمح إليه من هذه العناصر الفنية الشعرية التي ارتبطت بدلالات هذا العنوان، فهو من جهة ليس دالاً على ما يود الشاعر قوله في القصيدة، فالمقصوده من هذه القصيدة متمثل بأن يختبر من حوله، ويختبر الناس إن كانوا مخلصين له أم لا، ولا يحصل ذلك إلا إذا مات، فالموت يكشف عن المحبة الحقيقية، لذا يرجو لو أنّه يموت مرة أو ساعة قبل موته فتتكشف له سرائر الناس من حوله؛ لذا يجعل الموت وسيلة لكشف نوايا الناس وخباياهم، وهذا العنوان لم يكن مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بفكرة القصيدة على ما يبدو. ذلك أنّ عتبات النص تجعل القارئ " يمسك بالخطوط الأساسية التي تمكنه من قراءة النص وتأويله لأنّه يرتبط بعلاقة جدلية مع النص بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، والعتبات النصية هي التي تربط النص الأدبي بكل ما يحيط به من نصوص سابقة أو أخرى غائبة وغير معلن عنها" [78]

ومن النماذج الأخرى: "رسالة إلى صديق لن يقرأها"[(79)]، إذ تتمثل القوة الشعرية في هذا العنوان بعنصر المفاجأة من جهة، والتناقض من جهة أخرى، فالعنوان يمنح القارئ فكرة ابتدائية أنّ هذه الرسالة التي تُرسل للصديق لن يقرأها، هو تناقض بين الشاعر وذاته، فكيف إذن يرسل هذه الرسالة ما دام هذا الصديق لن يقرأها، إنّه يود إخبار المتلقي بأنّ ما تشتمل عليه هذه القصيدة التي قُولِبت بقالب الرسالة لا تهم كثيراً من الناس، ولا يأبه بها أغلبهم، من هنا انطلق بفكرته الإبداعية المتميزة والمميزة التي ارتبطت بهذا العنوان، وجعل من القصيدة وسيلة لإظهار هذه المعاني، والإبانة عما يود الشاعر قوله في هذه القصيدة – الرسالة – وهو ما استطاع أن يحققه عبر هذا العنوان الشعري. وعنصر المفاجأة من الخصائص الشعرية التي تكون في العنوان، وتفتح كوة في جدار تتشابك العنوان بها مع نسيج النص ويسمه بوسمه الخاص، وقد كان روبرت سولتز محقا في تعليقه على قصيدة تتكون من عنوان وجملة تليه، وكان العنوان هو القصيدة.

" " مرثية "

سأعرضها على من

بيت واحد، وجملة واحدة غير منقوطة، لكنها تشي بصيغة السؤال في نحوها وتركيبها، فما الذي يجعل منها قصيدة؟ بالتأكيد، لولا عنوانها لما كانت قصيدة. غير أنّ العنوان وحده لن يؤلف النص الشعري، وليس في وسع

---

[76] . حليفي، شعيب. النص الموازي في الرواية (إستراتيجية العنوان)، الكرمل، عدد 46،1أكتوبر، 1992م، ص87

[77]. معتوق، ديوان كريم معتوق، ص 35.

[78] . بلعيدة، حبيبي. العتبات في ديوان أسفار الملائكة لعز الدين مهيوب، ص57

[79]. معتوق، ديوان كريم معتوق، ص 80.

العنوان والنص الشعري أن يخلقا قصيدة بمفردهما.[80] قد يطرح النص صورة مغايرة عن العنوان، لكن العنوان يبقى محافظا على التوتر بسبب المسافة التي تفصله عن دلالات الاسم الإيجابية"[81]

وكذلك العنوان: "في حانة العربية"[(82)]، إذ جعل الشاعر في هذا العنوان للعربية حانة، وأن هناك من يأتي إلى هذه الحانة، آخذاً في اعتباره ذلك التشويق الذي سيندفع في فؤاد المتلقي وذهنه حتى يفهم تلك العلاقة الوثيقة التي أراد الشاعر إيضاحها عبر تركيب في حانة العربية، وحاول أن يصل إليها عبر هذه العتبة النصّية الأولى، إذ يحمل العنوان قدراً من الانزياح والمفاجأة التي تمنح الخطاب مزيداً من الجمال، ومزيداً من الجاذبية، وهو ما يسعى الشاعر إلى إظهاره في جميع عناوينه، كي يتمكن من الوصول إلى أكبر قيمة ممكنة من الشعرية ضمن عناوين قصائده. فالعناوين المركبة من مضاف ومضاف إليه " تعكس الشعري عبر انزياح في المألوف وإقامة علاقة متوترة بين المضاف والمضاف إليه بحيث تنسحب العبارة نحو المجاز المألوف" [83] مثلاً ألا يكون للعربية حانة فالتركيب الإضافي منح العنوان انزياحاً لطيفاً.

وعنون الشاعر قصيدة أخرى بـ "قالت لي الخنساء"[(84)]، يذكرنا هذا العنوان بعنوان مجموعة شعرية لنزار قباني، وهي: قالت لي السمراء، فقد تأثر الشاعر بعنوان نزار قباني، ورأى أن يقيم عنوانه هذا على نمط عنوان نزار، غير أنّه أتى باسم عربي تراثي وهو الخنساء، بقصد الربط بين ما عليه واقع الحال عند العرب اليوم، وما كان عليه حالهم من قبل، و" العنوان عنصر ضروري في تشكيل الدلالة وتفكيك الدوال الرمزية وإيضاح الخارج قصد إضاءة الداخل"[85] فكان لهذا العنوان قيمة شعرية كبيرة، ومظهر إيحائي عميق، وهو ما قصده الشاعر من خلال هذا التشكيل اللغوي المباشر لعنوان القصيدة، ومن هنا يمكن القول إن الشاعر قد تناصّ مع نزار قباني في تشكيل عنوان هذه القصيدة، فاستطاع عبر هذا الالتقاء والتقاطع مع عنوان هذه القصيدة من الوصول إلى إجادة العنوان، وإيصاله بالصورة المناسبة الجميلة. فـ" هو الذي يسمي القصيدة ويعينها ويخلق أجواءها النصية والتناص عبر سياقها الداخلي والخارجي علاوة على السؤال الإشكالي الذي تطرحه القصيدة"[86] و" العناوين عبارة عن علامات سيميوطيقية تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص، كما تؤدي وظيفة تناصية، إذا كان العنوان يحيل على نص خارجي يتناسل معه ويتلاقح شكلا وفكرا وهكذا " [87]

وبعد، فقد تناولت الصفحات السالفة الحديث عن عناوين قصائد كريم معتوق المتناثرة في دواوينه الشعرية، ودورها في تشكيل النص وشعريته وعلاقتها المباشرة بالنص، ومن تلك العناوين "الصندوق القديم"، و"بين بين" و"ملامسات" و"الجمال"، وأظهرت بعض العناوين أنّها مرواغة وتنبني على الانزياح واتساع الدلالة، وتحتاج

---

[80] . شولز، روبرت. السيمياء والتأويل، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ط1، 1994م، ص 73

[81] . شولز، روبرت. السيمياء والتأويل، ص91

[82]. معتوق، ديوان كريم معتوق، ص 101.

[83] . محمد، عبد الناصر حسن. سيموطيقا العنوان في شعر عبدالوهاب البياتي، ص66

[84]. معتوق، ديوان كريم معتوق، ص 245.

[85] . حمداوي، جميل. السيميوطيقا والعنونة، ص109

[86] . حمداوي، جميل. السيميوطيقا والعنونة،ص99

[87] . حمداوي، جميل. السيميوطيقا والعنونة،ص98

من القارئ شيئاً من التعمق والتأمل، مثل عنوان قصيدة: "المريد" غير أنّ مثل هذه العناوين قليلة جداً في قصائد معتوق، ولم تقع الدراسة على عنوان ذي علاقة اعتباطية مع القصيدة الشعرية.

ومن ناحية ثانية فقد برز عدد من السمات العلاماتية في هذه العناوين، علاوة على عنصر المفاجأة الذي كثيراً ما اعتمد عليه الشاعر في وضع عناوينه، كما اعتنى الشاعر بانزياح المفردات الأصلية عن دلالاتها للوصول إلى دلالات أكثر عمقاً وإثارة ضمن هذه العناوين.

الخاتمة

تناول البحث العنوان وشعريته من ناحيتين : شعريته حين كان عنوانا لديوان شعري، ثم حين كان عنوانا لقصيدة داخل ذلك الديوان، وأشار إلى شعرية العنوان بشكله المستقل كعتبة نصية مستقلة، وشعريته كعتبة نصية ومفتاح يدلف القارئ به إلى لجّة فضاء القصيدة، واستشهد بمجموعة من النماذج الدالة وغير الدالة على هدفه.

وأبرزت قراءته لشعرية العنوان في اتجاهيه العلاقة بين عناوين الدواوين وعناوين القصائد المشكلة له، فقد جاءت عناوين الدواوين أداة دالة في غالب الأحيان على مضامين القصائد ومراميها، وجاءت عناوين القصائد مفتاحا يضيء عتمة النص ومضامينه في أكثر الأحيان، ومن أمثلة ذلك "الصندوق القديم"، و"بين بين" و"الجمال"، وغيرها، كما أظهرت بعض العناوين أنّها ذات ارتباط يوصف بالمراوغة والانزياح، واتسمت بالشعرية في ذاتها كعتبة نصّية مستقلة ورأس لجسد النص، وحتمت على القارئ أن يتسلح بأدوات فنية يسبر أعماق العنوان ومراميه، ومنه عنوان قصيدة: "المريد" غير أنّ مثل هذه العناوين قليلة جداً في قصائد معتوق، ولم تقع الدراسة على عنوان ذي علاقة اعتباطية مع القصيدة الشعرية.

ومن ناحية ثانية فقد برز عدد من السمات العلاماتية في هذه العناوين، علاوة على عنصر المفاجأة الذي كثيراً ما اعتمد عليه الشاعر في وضع عناوينه، كما اعتنى الشاعر بانزياح المفردات الأصلية عن دلالاتها للوصول إلى دلالات أكثر عمقاً وإثارة ضمن هذه العناوين.

وبصورة عامة فقد كانت عناوين الدواوين عند معتوق وعناوين قصائده دالة وذات اتصال عضوي فاعل بالنص الشعري أو مراوغة منزاحة، كما أنّها كانت تحمل في لفظها كمفردة أو تركيب جملي شعرية إلى جانب دلالتها السيميائية. ويوصي البحث بمزيد من الدراسات الخاصة بالعنونة والعتبات النصية من نواح متعددة بوصفها مفتاحا للنص وإشارة توصل إلى فضائه أو علامة ذات خصائص مستقلة.

المصادر والمراجع

1- أحمد، بادحو. سيميائية العنوان في روايات عز الدين جلاوجي،، رسالة ماجستير، جامعة وهران، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية، 2015/ 2016م.

2- برهومة، عيسى عودة، سيمياء العنوان في الدرس اللغوي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، العدد، 97، المجلد، 25، 2007م.

3- بلعابد، عبد القادر، عتبات جيرار جينيت من النصّ إلى المناص، تقديم: سعيد يقطين، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2008م

4- بلعيدة، حبيبي. العتبات في ديوان أسفار الملائكة لعز الدين مهيوب، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة محمد خضير، قسم اللغة العربية، 2014/2013م

5- بنيس، محمد، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، دار توبقال، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989م

6- البياتي، عبد الوهاب. كنت أشكو إلى الحجر، مجموعة حوارات أجريت مع البياتي، المؤسسة العربية للنشر، الأردن، 1993م.
7- التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، بيروت، مكتبة لبنان، ط1، 1996م
8- الجزار، محمد فكري، العنوان وسيميوطيقاالاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م.
9- الحجمري، عبد الفتاح، عتبات النصّ البنية والدلالة، شركة الرابطة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1996م،
10- حسين، حسين علي محمد، التحرير الأدبي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الخامسة، 1425هـ/ 2004م.
11-حليفي، شعيب. النص الموازي في الرواية (إستراتيجية العنوان)، الكرمل، عدد1،46أكتوبر، 1992م
12-حمداوي، جميل. السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، عدد3، مجلد25، الكويت، يناير/مارس، 1997م
13-الزبيدي، محمد مرنضى. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، الكويت، ط2001،1م.
14-زينب، أوكسل. العنونة في شعر عبدالله العشي، مقام البوح أنموذجا. رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي، قسم اللغة العربية، 2015/2014م
15-شولز، روبرت. السيمياء والتأويل، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ط1، 1994م
16-الضمور، عماد، وظائف العنوان في شعر نادر هدى، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، العلوم الإنسانية، المجلد، 28، العدد، 5، 2014م.
17-العنزي، ناثر حسن جاسم،سلطة العنوان في قصيدة " الخيط المشدود في شجرة السرو" لنازك الملائكة، مجلة الآداب، جامعة بغداد، عدد 109، 2014م،
18-عويس، محمد. العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية،ط1، 1988م
19-الغذامي، عبد الله، الخطيئة والتكفير، منشورات النادي الثقافي، جدة، 1985.
20-غرايبة، نهال عبد الله. التشويش وجماليته في عناوين جمعة شنب، نبت الحرام نموذجا, مجلة جامعة الزيتونة الأردنية للدراسات الإنسانية والاجتماعية, عمان, مجلد 3, عدد 22
21-الفيروز آبادي، مجدالدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، مرتبا ترتيبا الف بائيا وفق أوائل الكلمات، القاهرة، دار الحديث، 2008.
22-القاضي، صادق. عتبات النص الشعري في المعاصرة الشعرية وشعرية المعاصرة، القاهرة، مؤسسة أروقة للدراسات، 2012م.
23-قطوس، بسام، سيمياء العنوان، إربد. الأردن، الطبعة الأولى، 2002م.
24-معتوق، كريم، ديوان المعلقة الثامنة،الشارقة، دائرة الثقافة والإعلام، 2018م
25-معتوق، كريم، دار الياسمين للنشر، يوان سوانح، الشارقة، دار الياسمين للنشر، 2015م
26- معتوق،كريم، ديوان هل يحب الله أمريكا،مصر، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، 2007م
27-معتوق، كريم، ديوان لدي أقوال أخرى، الشارقة، عشتار للنشر، 2021م.
28-معتوق،كريم، ديوان قسطرة، الشارقة، دار الياسمين للنشر،2014
29-معتوق، كريم، الديوان، أبو ظبي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2011م
30-محمد، عبد الناصر حسن. سيموطيقا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي، دار النهضة العربية، القاهرة، 2002م

31-مفتاح، محمد، دينامية النصّ، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، 1987م.
32-ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر،بيروت،د.ط.